آيات و قصة

فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم

أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم

٩٤





محمد على قطب

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

آيات وقصة

(٩٤)

الأحزاب وجنود الله الخفية

تأليف

محمد على قطب

رسوم

صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



بسم الله الرحمن الرحيم

كانت ليلة « الخمـيس - الجمعة » أطيب وأحلى الليـالي عِنْد «أيْمن» و«إيمان»، حَيْثُ يجلسانِ إلى أبيهما يحدِّثُهما - بعد صلاة العشاء - حديثَه الشَّيِّق في بيان وتفسير بَعْض آياتِ القرآن الكريم ، مُستخرجًا منها ما يرسِّخُ الإيمانَ في قـلبيهما ، ويُهذِّب سُلُوكهما ، ليكونا عنوانين ومثلين كريمَيْن بين أترابهما[1] .

وها هُما اللَّيلة يحفَّان[2] بالوالد الكريم عن اليمين وعن الشِّمال - كعادتهما- .

وما كادَ الأبُ يسمِّي الله تعالى ليفتَتحَ الحديث ، حتى بادَرَتْهُ «إيمان» قائلة :

-هَلْ يسمحُ لي الوالدُ العزيزُ أن أَسْأَلَ سؤالاً ؟

فقال الأبُ : حُبًّا وكرامةً يا ابنتي الحبيبة ، تَفَضَّلِي !

فقالت « إيمان » : لقد استمعتُ اليوم إلى قارئ من إذاعة القرآن الكريم يتلُو قوْل الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب] .

فـأرْجُو الوالـدَ العزيزَ أن يُحـدِّثنا اللَّيلـة عَنْ سببَ نزول الآيـة، ويبيِّنَ لنـا ظُروفهـا ومدلُولاتِها وأَحكامَها . . وشكرًا .

تبسَّم الأبُ ابتسامةً رقيقةً ، وضمّ إليه ابنتَهُ « إيمان » بحنان، وقال :

- بارَك اللهُ فيكِ يا ابنتي الحبيَبة ، وهداكِ دائمًا لما فِيه الخيرُ! في الدُّنيا والآخِرَة !

استوى الأبُ في جلسَتِهِ ، وأَسْند ظهرهُ إلى مقعدِهِ ، وتربَّع .. ثم قال :

الآيتانِ يا ابنتي العزيزةُ هُما من سورة « الأحزاب » وترتيبهما الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون (٢٨-٢٩) .

وهما في معناهما العام تدُلانِ على أنَّ نساء النبي ﷺ قد رَغِبْنَ ذات يومٍ أن يزيد رسول الله ﷺ في النَّفَقةِ عَلَيْهِنَّ والإغداق، وما كان رسُولُ الله ﷺ ليستطيع ذلك ؛ لا من حيثُ إمكانياته الماديَّة ، ولا من حَيْثُ الرغبة في الحياة الدُّنيا وزينتها. . . ، لأنَّ الآخرة خيرٌ وأبقَى !





وأسرتُهُ ﷺ : أزواجُهُ وبناتُه وذاتُهُ الشـريفة، هى القدوة الصالحة للمسلمين جـميعًا، فكيف يستجيب لهُنَّ . . فيما يطلبنَ ؟!

لذا أمَرَهُ الله– تعالى– أن يخـيِّر نساءَه بين أن يُفارقَهُنَّ بالمعُروف إذا أردنَ الحـياةَ الدُّنيا وزينتها ، أو يبقين في عصمتهِ إذا اخترنَ الله ورسوله والدار الآخِرَةَ ؛ مع ترغيبهنَّ فيما أعدَّ الله لهُنَّ في الجنَّة مِنْ نُزُل طيبةٍ ومقامٍ كريم ، فما جزاءُ الإحْسان إلا الإحسانِ !

قالت « إيمان » :

– وكيْف كان ذلك يا أبي ؟ ومن كان وراءَ هذا التحريض ؟ وإلى ماذا انتهى الأمْر ؟

قال الوالد :

– قَبْل أنْ نخوضَ في الحديثِ عن آيتي سورة « الأحـزاب » كانْت هُناك مقدِّمات هي التي أنشأت ذلك . وَفرَّعَتْهُ .

قال « أيْمن » :

– لعلَّ في المقدمات – يا أبي – ما جَعَل هذا الموقف نهايةً حاسمةً لها !

قال الأب :

تمامًا يا « أيمن » . . فَتَح اللهُ عليكَ يا بُنيّ !

ثم قال :

– أُريدُكم أن تعرفوا بَدْءا أنَّ بشريَّةَ الإنسان – ذكـرًا كان أم أُنثى – قد تغْلبُ أحيانًا ما يتربى عَلَيْـه مِنْ خُلُقٍ وسُلُوك ، وتضطرُّهُ فطرتُه التي جُبِلَ عَلَيْها إلـى الانحرافٍ . . قليلاً أو كثيرًا ؛ فإما أن يستغرق. . فيغْرق ؛ وإما أن يتنبَّه فيتوب ، ويؤوب[1] . . . ، ثم ينجو .

---

(١) يؤوب : يعود .

وهذا ما حدَث لأُمَهات المؤمنينَ - رضي الله عنهُنَّ .

لقد تزوَّج رسول الله ﷺ من « زَينب بنت جحشٍ » - رضي الله عنها - ، وهي ابنةُ عمَّتِه ، بَعْد أن طلقها زوجها « زيد بن حارثة» الذي كان ربيبَ[1] رسُول الله ﷺ .

وفي طلاقــهــا من « زيْد » وزواجهــا من رسُــول الله ﷺ حِكَمٌ وأحكام ، وتشــريع ،وأظنكم تتذكرون حديثنا المفصل عن ذلك الموضوع فى جلستنا السابقة.

المهمُّ - يا أعزائي - أنَّ « زينب »- رضي اللــه عنها - كانت ذات جمــالٍ وَحَسب ، وكانتْ تعتزُّ بذلك ، وتفخر ، وتتيهُ[2] على بقيَّة نساءِ النبيِّ ﷺ أنَّ زواجها من رسُول الله كان بأمرِ الله تعالى ووحي منه !

وكانَ مــن شأْنِ رسُول اللــه ﷺ بعد زواجِهِ مــن « زينب » أن يُطيل المكوثَ عندها، وكانت هي تعرف حبَّه للعَسَل فتقدِّمه له في نَوْبتها[3] ! فيأْنَسُ لذلك وتطيب نَفْسُه .

ولقد تحــرَّكتْ في نفس « عائشة » و « حفْـصَة » غيــرة النساء ؛ وتلك طبيعــةٌ بشرية فطرية ؛ وحدثت إحداهُما الأُخرى بما يجيشُ في نفْسها ويضطرب ، ثمَّ اتفقتا على أن تقُولا لرسُول الله ﷺ قولاً واحدًا ، ينفِّرهُ من « زينب » !

فلما أتى « عــائشة » في حــجرتها يَوْم نَــوْبتها قــالت له : إني أجدُ من فَــمِكَ رائحة مغافير. . . يا رسُول الله !

والمغافير هو صُمْغُ شَجَرِ العرفط ، حُلْوُ المذاقِ كَرِيهُ الرَّائَحَةِ!

وكان ﷺ يأنَفُ من الرائحةِ الكريهةِ .

فقال لها : كنتُ عند « زينب » فسقتني شربة عسل !

---

(١) ربيبه : الذي تربى عنده .

(٢) تتيه : من التيه وهو إعجاب المرء بنفسه .

(٣) نوبتها : حصتَّها وقسطها .

فقالت « عائشةُ » : لقد رَعَتْ نَحْله العرفط !

وسمعِ رسُـول الله ﷺ من « حَفصَـةَ » في نَوْبتها نَفْس القَـوْلِ ؛ وردَّ بِنَفْس المقالة ، وأقسم رسُولُ الله ﷺ أن لا يعود إلى ذلك ، واستكتمتها الخبر ، فلا تُذيعه ولا تفشيه .

لكنْ « عائشة » و « حَـفْصَةَ » أذاعتا الخَـبر ، رغبَةً منهما بـالكيد لِـ « زَيْنب»، حتى انتشر بَيْنَ الناس !

وعلمه القاصي والدّاني . . .

فتأذّى من ذلك رسولُ الله ﷺ أذى شديدًا !

وأنزل الله تعالي في ذلك الشأن آيات بيِّناتٍ ، بعْضُها عتابٌ لرسُول الله ﷺ رقيق ، وأُخرى فيها إنذارٌ ووعيدٌ للَّتيْن ائتمنتا على السِّر - « عائشة » و«حفصة » ثُمَّ أذاعتاهُ !

وذلك في سورةِ « التحريم » ؛ حيثُ يقول الله تعالى في عتابِهِ لرسُوله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾[التحريم] .

ثم يُتابع سبحانَهُ في سَرْدِ القصَّة ووعيدِهِ الشَّديد للتين أذاعتا السِّر :

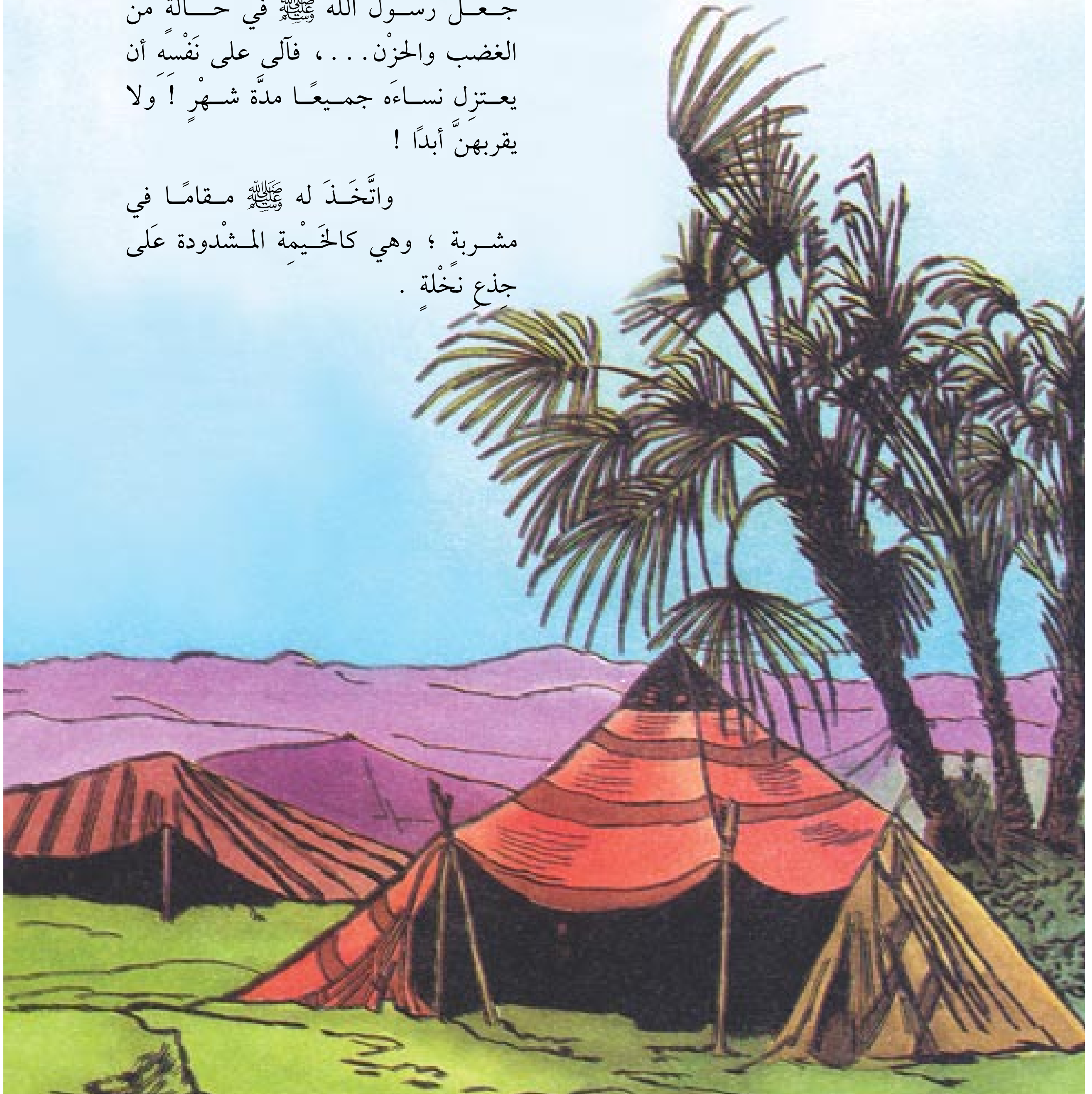
﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) ﴾ [التحريم].

لقد كشف اللهُ تعالى لـنبيِّه ﷺ سرَّ التَّواطؤ ، فجاء إلى «عـائِشَةَ» يسألها عن ذلك ، في تلمـيح دون إفاضــةٍ أو تصريحٍ . . ، فـقالت : من أنبـأك بهذَا ؟ وهي تظنُّ أنَّ « حَفْصَة » هي التِي أخبرتْهُ ، فقال ﷺ : « نبأنَيَ العليم الخبيرُ».

ولقـد حَدَثَ بعـد ذلك أثرٌ آخر ، كنتُ قـد عَرَضتُ لَهُ في بداية حـديثي معكُما، وهو طَلَبُ نساءِ النبيِّ ﷺ زيادة النفقة لهنَّ وعليهنَّ!

كلُّ ذلك - يـا عــزيزي - جَـعَـلَ رسُـول الله ﷺ في حـــالة من الغضب والحزْن. . . ، فآلى على نَفْسهٍ أن يعـتزِل نسـاءَه جمـيعًـا مدَّة شـهْرٍ ! وَلا يقربهنَّ أبدًا !

واتَّخَـذَ له ﷺ مـقامًـا في مشـربة ؛ وهي كالخَـيْمةِ المـشْدودة عَلى جِذعِ نخْلةٍ .



وسادَ الحزنُ نساءَه جميعًا ، وتحسَّرن على ما كان منُهنَّ .

كما سادَ المسلمين ، من الصحابة ، مهاجرين وأنصارًا !

وخيَّم على المدينة المنوَّرة جوٌّ من الأسى . . والألم !

وسَأروى لكُما تمام القَصَّة وما آل[1] إليْه الأمْر على لسانِ سيِّدنا «الفاروق» – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ؛ فـقد كانَ أكثـر الصَّحابَة حـركةً في هذا المجال حـرْصًا على مرضاةِ رسول الله ﷺ ؛ وعدَم انقطاع مصاهرتِهِ ، بتطليق «حفصة » ابنتَه !

يقول سيدنا « عمر » [2]:

(كُنا مَـعْشَرَ « قـريش » نَغْلِبُ النِّساء . . أي لا نـتركَ رأيَهن يُسودُ رأي الـرجال في شؤون الحـياة – فلما قـدمنا « المدينة » وَجَدنا قومًـا – أي : الأنصار – تغلبُـهم نساؤهم ، فطفق[3] نساؤنا يتَعَلَّمن مِنْ نسائهم .

وكان منزلي في دار «أميَّة بن زيْد » في « العوالي »[4] ، فغضبتُ يوْمًا على امْرأتي ، فإذا هي تُراجعني ، فـأنكرتُ أن تراجِعني[5] ، فقَالتْ : مـا تُنْكر أن أراجِعَكَ ؟ فوالله إنَّ أزواجَ رسُولِ اللَّه ﷺ ليُراجعْنَهُ ، وتهجُرُه إحداهُنَّ اليومَ إلى اللَّيل !

---

(١) آل : صار .

(٢) الحديث : رواه الإمام أحمد في مسنده .

(٣) طَفِق : أخَذَ .

(٤) العوالي : ضاحية من ضواحي المدينة .

(٥) تراجعني : تردُّ عليَّ قْولي بالرَفض .

يقول سيدنُا « عمر » :

(فانطلقتُ ، فَدَخلتُ على « حَفْصَة » فقلت: أتُراجعين رسُول الله ﷺ ؟

قالت : نعم !

قلتُ : وتهجُرُهُ إحداكُنَّ اليومَ إلى اللَّيلِ ؟

قالت : نعم .

قُلْتُ : قد خابَ من فَعَل ذلك منكنَّ وَخَسِر ، أَفَـتأْمَنُ إحْداكُنَّ أن يغْضَبَ اللهُ عليها لغَضبَ رسُولهِ فإذا هِيَ قد هَلَكتْ !

لا تُراجعي رسولَ الله « ﷺ » ولا تسْأليه شيْئًا ، وسلِيني من مَالِي ما بدا لكِ ، ولا يغُرَّنَّك إن كانت جارتُك[1] هي أوسم[2] منْك ، وأحب إلى رسُول الله ﷺ منك) .

ثُمَّ يتابع سيُدنا «عمرَ » - رضي اللَّه عنه - الروايةَ فيقُولُ :

(وكان لي جارٌ من الأنصار . . وكُنا نتناوب النُّزول إلى رسُول الله ﷺ ، ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فيأتيني بخبر الوَحْي[3] وغيره، وآتيه بمثل ذلك .

وكُنّا نتحدثُ أنَّ « غسَان »[4] تنعل[5] الخيل لتغزونا ؛ فنزل صاحبي يومًا ثم أتى عشاءً ، فَضَربَ بابي ، ثم نادى. . فخرجْتُ إليه، فقال : حَدَثَ أمرٌ عظيم.

فقُلتُ : وما ذاك ؟ أجاءَتْ «غسان » ؟

قال : لا . . ، بل أعظم من ذلك وأطْول ؛ طلَّقَ رسُولُ الله ﷺ نساءَهُ !

فقلتُ : قد خابت « حَفْصَةُ » وخسِرتْ ، قد كنتُ أظنُّ أنَّ هذا كائنًا) يعني: متأكدا من حُدوثِهِ لما عَرَفَ من سوءِ معاملة أزواج النبي ﷺ له .

---

(١) جارتك : يعني « عائشة » - رضي الله عنها - .

(٢) أوسم : أَجْمل .

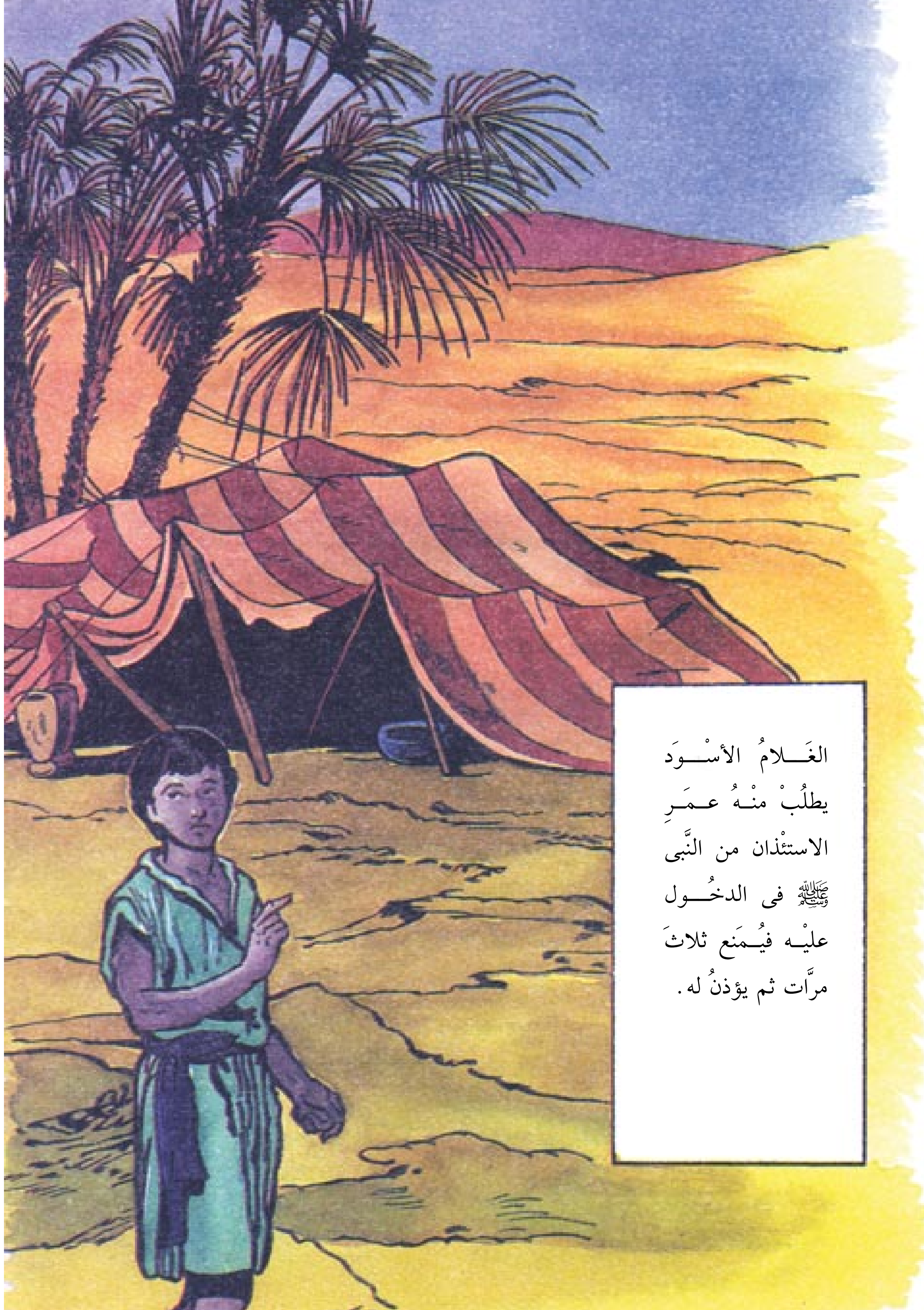
(٣) خبر الوحْي : ما نزل على رسول الله ﷺ من آيات القرآن الكريم .

(٤) غسان : قبيلة عربية نصرانية كانت تسكُن حدود الشام وتتعامل مع الروم .

(٥) تنعل الخيل : تجعل في حوافرها الحدوات كالنِّعال .



صَاحِبُ عَمَر بْنِ الخطابِ رضِى اللَّه عنْهُ يدقُّ البَابَ ليخْبِرَ عمَر بخَبَر تطْلِيق النَّبى ﷺ نساءَه.


الغَـــلامُ الأسْــوَدَ
يطلُبْ منْـهُ عـمَـرِ
الاستئْذان من النَّبى
ﷺ فى الدخُـــول
عليْـه فيُـمَنع ثلاثَ
مرَّات ثم يؤذنُ له.

ثُمَّ يتابع - رضي الله عنه - فيقول :

(حتى إذا صلَّيتُ الصُّبح ، شدَدْتُ عليَّ ثيابي ، ثم نزلتُ ، فدخَلتُ على «حفصَة » وهي تبكي ، فقلتُ :

- أطلقكُنَّ رسُول الله ﷺ ؟

فقالت : لا أدري ، هو هذا معتزل في هذه المشربة !

فأتيتُ غلامًا أسود[٤] فقلتُ :

- استأذن لِـ « عمر » .

فَدَخَلَ الغلام ثم خرج إليَّ فقال :

- ذكرتْكَ له فَصمت !

فانطلقتُ حتى أتيتُ المنبرَ ، فإذا عنَده رهط[١] جلوس ، يبكي بعضُهم ، فجلستُ عنده « قليلاً » ثُمَّ غَلَبني ما أجد[٢]، فأتيتُ الغُلام فقلتُ :

- استأْذن لِـ « عمر » .

فدخل ثمَ خرَج ، فقال :

- ذكرتُك له ، فَصَمَت !

فخرجتُ فجلستُ إلى المنبر ، ثمَّ غلبني ما أجد ، فأتيتُ الغلام فقُلْتُ :

- استأْذن لِـ « عمر » .

فدخل ثم خرَج إليَّ ، فقال :

- ذكرتُك له ، فَصَمت !

---

(١) الرهط : الجماعة من الناس .

(٢) غلبني ما أجد : لم أَعُدْ أطيق الاحتمال .

فولَّيْتُ مُدبرًا[1] ، فإذا الغُلام يدعوني ، فقال :

– ادخُل . . . فقد أذن لك .

فَدَخلتُ فسلمتُ على رسول الله ﷺ. . . . !

فإذا هو مُتكئ على رمل حصيرٍ[2] ، قد أثر في جَنْبِهِ ، فقُلتُ :

– أطَلَّقْتَ يا رسُول الله نساءَك ؟

فَرَفَع رأسَهُ إليَّ وقال:

– لا . .

فقلتُ : الله أكبر !

لو رأَيْتنا يا رسُول الله ، وكُنا معشر « قريش » قومًا نغلِبُ نساءنا ، فلما قدِمنا المدينة وجدنا قومًا تَغلبُهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلَّمن من نسائهم ؛ فَغضبتُ على امرأتي يَومًا ، فإذا هي تُراجعني ، فـأنكرتُ عليها أن تراجعني ، فقالت: مـا تُنكر أنْ أُراجِعَكَ ؟ فوالله إنَّ أزْواجَ النبيِ ﷺ ليُراجعْنَهُ وتهجُرُهُ إحداهنَّ الـيوم إلى اللَّيْل ، فقلتُ : قد خاب من فعل ذلك منكن وخَسِـرَ، أَفَتأْمن إحـداكُن أن يغضب اللهُ عليهـا لِغَضَبِ رسُوله ، فـإذا هي قد هلكت ؟

فتبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ .

فقلتُ : يا رسُولِ اللهِ ، قد دخلتُ على « حفْصَةَ » فقُلْتُ :

– لا يغرَّنك أن كانت جارتك هي أوْسم وأحب إلى رسُول الله مِنْك !

فتبسَّم أُخرى !

---

(١) وليت مُدبرًا: انصَرَفْتُ ، لأنه من استـــأذن ثلاثا فلم يؤذن له . فلينصَرف – هكذا رُوي عن رســول الله ﷺ.

(٢) رمْل حصيرٍ : نوعٌ من الأبسطة تصنع من لحاء النبات أو جريد النَّخْل أو غيرهما .

فقلتُ : أسْتأْنسُ يا رسُول الله[١] !

قال : نعم . .

فجلستُ ، فَرَفَـعتُ رأسي في البيت[٢] ، فوالله مـا رأَيْتُ في البيت شيْـئًا يردُّ البصَرَ[٣] إلا هَيْبة مقامه ﷺ .

فقُلتُ :

- ادْع الله يا رسُول الله أن يوسِّع على أُمتك ، فقد وسَّع على «فارس» و«الرومّ» ؛ وهم لا يَعبُدون الله !

فاستوى ﷺ جالسًا ؛ وقال :

-أفي شَك أنْتَ يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلتْ لهم طيباتُهُم في الحياةِ الدُّنيا . .

فقُلْتُ :

اسْتغفر لي يا رسُول الله !

وكان - أي رسول الله ﷺ- أقـسم ألا يدخُل عليهنَّ شهرًا من شـدَّة مَوْجدَتِه[٤] عليهنَّ حتى عاتبه الله - عزَّ وجلّ)[٥] .

ومرَّت الحادثةُ بسلامٍ وعادَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى بيوت أزْواجه أمهات المؤمنين.

---

(١) يعني : هل تأذن لي بالجلوس فأوتسك .

(٢) يعني : المشربة التي اعتزل فيها رسول الله ﷺ .

(٣) يرد البصر : يشد إليه فيتعلق به .

(٤) الموجدة : الغضب والحزن .

(٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي - أيضًا .

وهنا - قاطعت إيمان أباها سائلة بعد الاستئذان:

- يا أبتِ لقد زادت أزواج النبي ﷺ علي أرْبع - أمـهات المؤمنين - رضي الله عنهُنَّ ، أليس في ذلك مخالفة للشَّرع !؟ وكيف جازَ لَهُ ذلك ؟

سكَتَ الأبُ قليلاً ، ونظر إلي البعيد ، ثم التَفَت إلى «إيمان» وقال :

- بُنيَّتي الحـبيبة ، سؤالك مـهم ، ومُهمٌّ جداً ولكن مجـال البحثِ فيه ليس مُناسـبًا لجلستنا هذه ، فهو يقتضي وقْتا طويلاً وخاصًّا ، ولكنني أُريدُ أن أوجز لك الرَّدَّ وإن شاءَ الله تعالى نبحثه مطوَّلاً ومفُصَّلا في جلسةٍ أُخرى .

أولاً : كانت تلك الزيجات المتعدّدة خصوصيةً لرسول الله ﷺ.

ثانيا : أنها كانت ذات دوافع سياسية واجتماعيةٍ وخُلُقيَّة ! .

ثالثًا : لا تنسـى أبدًا أنَّه ﷺ قد تزوَّج زواجه الثـاني وقد تجاوز الخـمسين من عـمره الشريف ، حيثُ تَقِلُّ الرغبة فى النِّسَاءِ وتضعُف .



والآن هيا بنا نعودُ لمتابعة حديثنا ، ونَصل ما انقطع .

لقد مــرَّت حادثةُ اعتــزالِ النبي ﷺ لأزواجه ، مدَّة شــهْرٍ ، بســلام، ولم يطلقهُنّ ، وندمْن على ما فَعَلن ، وخصوصًا صاحبَتْي التدبير « عائشة » و«حَفْصة» - رضي الله عنهما - .

وكانت فَــرحَتُهُــنَّ بانجلاء هذه السَّحــابة الدَّاكنة عَنْهُنَّ عظيمــة، ورَحّبْن أيَّمــا ترحيبٍ بدخُولِه عَليهنّ .

ومضت مُدَّة ليــست قصيرةً ، انشَغَل فــيها رسول الله ﷺ بأُمــور الوحْي والتشريع ، والتنظيم والضّبْط ، ومجاهَدَةِ العدوِّ .

ولكن ما بالُهُ ﷺ يَعْتزل الناس ، ولا يخرجُ إليــهم ، ولا يجالسهم في المسْجد، ولا يزُورهم في بُيوتهم أيامًــا عدَّة ، يؤدي الصَّلاة معــهم ثم يعتكف في بَيْتِهِ ، ومــا تعوَّدوا منه ذلك ، إذ كان دائم الحضُورِ فِيهم ومعَهُم ، ماذا حَدَث وجرى ؟!

وتردَّد عليه الكثيرون من جَلَّة الصحابة يستأْذنون بالدُّخول ، فلا يؤذنُ لهم !

وسأل أيمن أباه :

- ما الذي حَدَث يا أبي حتى جَعَلَ ســيدنا رسول الله ﷺ يُقاطعُ الناسَ ، وهذا ليس من خُلُقِهِ وطبعه ؟

قال « أبو أيمن » :

- لم تكُن عزلْتُه ﷺ مقاطعةً بالمعْنى السلبي ، ولكنَّها عُزلةٌ تأمليَّة ! وتَربويَّة!

قال «أيمن » :

- لم أفهم ما تقصد يا أبي ، أرجو أن تُوضِّح لنا .

قال أبو أيمن :

- لقد كـان سيّـدنا رسُول الله ﷺ - وما زال - قـدوةً وأسوةً حَـسَنة، لمن كان يرجو الله واليـوم الآخر . . ، لذا اختار - ﷺ - لِنَفْسِـهِ ولأهْل بيْته عيـشة الكفاف، وليس ذلك عن عجْزٍ وقصور ، فقد عـاش حتى فُتِحت له الأرض ، وكثُرت الغنائم ، وامتلأ بيت المال ، وعمَّ الفيء ، واغتنى مَنْ لم يكنُ له من قبْل مال ولا زاد !

ومع هذا فقد كان ﷺ يمضي عليه الشهر ولا تُوقد في بيته نارٌ على طعامٍ دسم ؛ وقد حدَّثت بذلك « عـائشة » - رضي الله عنها- وغيرها من أُمَّـهات المؤمنين، مَعْ ما اشتهر عنه ﷺ من الجود بالصدقات والهباتِ والهدايا والأُعطيات.

والغرضُ هُوَ الاسـتعلاءُ على مـتاعِ الحيـاةِ الدُّنيا ورغبـةً فيمـا عند الله تعالى ، وتعفُّفًا . . . إنَّه يملك ولكنَّه يعفّ !

وهذا لا يعني التحـريم - معاذ الله - بل تَهـذيبًا للنَّفس البشـريَّة حتى لا تطغى عليها متع الحياة الدُّنيا فتقع تَحْت وطأتها ، وتجهد في سبيلها ؛ وتُصبح أكبر هما .

لكنَّ نسـاءَ النبيّ ﷺ- أمهات المـؤمنين ، رضي الله عنهُنَّ - وهُنَّ يروْنَ شَظَفَ العيش في بيُوتِهِنَّ ، ورخاءَه في بيُوت المسلمين، قد عزَّ عليهن، وثارت في نفوسِهِنَّ - البـشرية - عـواملُ الغَيْـرة والأسى ، فطالَبْنَهُ ﷺ بأنْ يوسِّع عَلَيـهنَّ في النفقـة ، في الطعام واللِّباس وغير ذلك ، وألحَحنَ في الطلب ، وتكاثَرنَ عليه!

ولو أنَّه ﷺ استجاب لهُنَّ ، ولرغباتهنَّ ، لجَعَل من بَيْتِهِ بيْت زعيمٍ ، أو ملك ، وهذا ما يتنافى مع سلُوك النُّبُوَّة بالقُدوة الحسنة.

فَرفَضَ ذلك وأبى . . ، وَقَعَد لهُنَّ في بيُوتهنَّ آسفًا حزينًا .

ومع قُربِهنَّ كُنَّ لا يُدركْن الغاية السَّامية التي ألزَم بها نَفْسه . . وهي الدَّار الآخرة ورضوان الله تعالى .

وقال « أبو أيمن » :

– لعلِّي أطلتُ في سَرْد المقدِّمة للواقعة وبيان مُحْتواها وأغراضها، ولكن كان ذلك ضرورةً . ونعودُ الآن إلى مُتابَعَة التَّطوُّرات.

لَقَدْ كان أوّلُ المهتمِّين والمهمُومين بهذا الأمْر الصاحبين الشيَّخين « أبي بكْر الصّديق » و « الفاروق » – عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما ، اللذين كانا وزيريْ صدْقٍ لرسُول الله ﷺ .

أَقْبَلَ « أبو بكر » – رضي الله عنه – يستأذن على رسول الله ﷺ ، والناس ببابه جلوس؛ فَلَمْ يؤذن له؛ فَوَقف ينتظر، حزينًا، ثم جاءَ «عمر» فاستأذَنَ فَلَمْ يؤذن له أيضًا ، فوقف مع «أبي بكر» يتناجيان، والدُّمُوع تكادُ تنهلُّ من مُقْلتيْهما، ولا يدريان ماذا يَفْعلان، ثمَّ أُذنَ لهما، فبادرا في خفَّة الفَرح والسُّرور !

وحين دَخلا وَجدا رسُول الله ﷺ جالسًا ساكتًا ، وسيماءُ الحزْنِ والأسى على وَجْهه الشريف ، ونساؤُه من حَوْله صامتات، لا يتكلمن .

فأدْرك « عمر » بحِسِّه وحدْسه ، أنَّ شيْئًا ما قد أَلَمَّ بالبْيت النَّبوي ، بيْن رسول الله ﷺ وبين أزواجه ؛ وأنهنَّ السَّبب في ذلك – لاشكّ !

وَبِعفْويَّةٍ، وعن غَيْر قصْدٍ، قال «عمر» في نَفْسِهِ: لأُضحكنَّ رسول الله ﷺ.

ثُمَّ قال :

– يا رسُول الله . . لوْ رأَيْت ابنةَ « زيد » – يعني زَوجَته – سألتني النفقة آنفًا فوجأْتُ[1] عنُقها.

فَضحك رسُولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذُهُ[2]!

---

(١) وجأ : خنَق بيديه .

(٢) تبسَّم ﷺ حتى بَدَتْ أنيابه؛ وكان هذا ضحكه من غير تقهقه .

قالت « إيمان » :

– يا لسيِّدنا « عمر » – رضي الله عنه – لقـد كانت الشّفافية[1] عِنَدهُ على دَرَجةٍ عالية ، لقد قال ما قال وهُو لا يدري السَّبب!

فقال « أبو أيمن » :

– صدق رسولُ الله ﷺ حين قال : « لقد جَعَل الله الحقَّ على لسانِ عمر وقلْبه » .

ثُمَّ تابع « أبو أيْمن » حديثه فقال :

بعد أن ضحك رسُول الله ﷺ من مقولِة « عمر » ؛ التَفْتَ إلى نسائه وقال:

– هُنَّ حوْلى يسألْنَني النَّفقة !

فقام « أبو بكر » غاضبًا إلى « عائشة » يُريدُ أن يضربها !

وكذلك فعل « عمر » ، وقد اتجه إلى حَفْصَةَ !

وراحا يقُولان :

– تسْألان رسُول الله ﷺ مالَيْس عِنْده !

وعَزَّ على رسُـول الله ﷺ أن ينال « عائشـةَ » و «حَفْـصَةَ» أدنى سـوءٍ ، فمنع أبويْهما منهُما !

فقالتا بَعْدُ ، وبلسانٍ واحدٍ :

– والله لا نسأل رسُولَ اللَّهِ ﷺ بعد هذا المجْلِسِ ما لَيْس عنده!

وانفضَّ المجلِسُ !

---

(١) الشفافية : المبالغة في صِدْق الإحساس .

ثمَّ أنزل الله تعالى قولْه الكريم ، في مُحْكَمِ كتابه العزيز :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب] .

والآيَاتَ فيها حسْم للأمر؛ وقطعٌ لدابرِ الفتنة، ونزغَةِ الشيْطَان. . أن تُوسْوس لهُنَّ .

فبدأ رسولُ الله ﷺ بتخيير « عائشة » ؛ فقال :

-إني أذكُر لَكِ أمراً ما أُحبُّ أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبَوْيك .

قالت : ما هُوَ . . يا رسُول الله ؟!

فتلا عليها آيتى التخيير .

فقالت « عائشةُ » : أفيكَ أسْتأمِرُ أبويَّ ؟ بل أَخْتَارَ الله تعالى ورسوله .

وسكتت قليلاً ثم قالت :

- وأسْأَلُكَ ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اختَرْتُ !

قال «أيْمن»: لعلَّها - رضيَ الله عَنْها- تريد أن تَنْفرد برسُول الله ﷺ دُون بقيَّةِ نسائهِ !

فقــال « أبو أيْمن » : وهذا الطلب له مَدْلُولان : حـبّها لرسُــول الله ﷺ ، والنزعةُ البشريَّة في الاستئثار !

أما الأول فمقبول ، وأمَّا الثاني فقد ردَّ عليها رسُول الله ﷺ يُعلِّمها ويُذكِّرها من غير تعنيف ، إذ قال لها :

- (إن الله تعالى لم يبعثني مُعنِّفًا ، ولكن بعثني معلِّمًا مُيسِّرًا، لا تسْألني امرأة منهُنَّ عما اختَرْت إلا أخبرتُها) .

ثم إنَهنَّ جميعًا اختَـرنَ الله ورسُوله ، ورضين بما هُنَّ عليه في الحياة الدُّنيا ؛ ذلك أن الآخرة خيرٌ وأبْقى .

وتُصبحُون على خير !

وإلى اللقاء في القصة التالية (٩٤) وعنوانها :

(جنات سبأ . . وجزاء الكفور)

الأسئلة

١- ماذا سمعت « إيمان» من إذاعة القرآن الكريم ؟

٢- ماذا كان مــن شَأْن « عائشة » و «حَــفْصة» بالنسبــة لـ «زينب بنت جحش»؟ وماذا قالتا لرسُول الله ﷺ ؟

٣- هل طلب رسول الله كتمان السِّر ؟ ولماذا خلَف ؟

٤- لماذا اعتزَلَ رسول الله ﷺ نساءَه وأين ؟ وكم هي المدَّة ؟

٥ - ما الذي جعل رسُــول الله ﷺ يعتزل أصحابه والناس؟ وكــيف كان رسُول الله ﷺ قُدوةً حسنةً ؟

٦- بماذا ردت « عائشة » عندما سمعت آيتي التخيير؟ وماذا طلبت ؟

٧- بماذا أجابها رسُول الله ﷺ؟

دَرْسُ النَّحْوِ

المُنَادَى

ذَكَرْنَا فِى الدَّرسِ السَّابِـقِ شَيْئًا عَن المُنَادَى، وَقُلْنَا أَنَّهُ خَمْـسَةُ أَنْوَاعٍ، وَفِى هَذَا الدَّرسِ نَذْكُرُ طَرِيقَةَ إِعْرَابِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا، فَنَقُولُ:

إِذَا كَانَ المُنَادَى مُفردًا عَلَمًا، أَوْ نَكِرَةً مَقْـصُودَةً بَنَيْنَاهُ عَلَى مَا يُرْفَعُ بِهِ، أَىْ نَأْتِى بِعَلامَةِ الرَّفْعِ، وَلا نَقُولُ أَنَّهُ مَـرْفُوعٌ بَلْ مَبْنِىٌّ عَلَى هَـذِهِ الْعَلامَةِ فِى مَـحَلِّ نَصْبٍ؛ لأنَّ المُنَادَى كَأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ: أَنَا أَدْعُو فُلانًا.

فَإِنْ كَـانَ يُرْفَعُ بِالضَّمَّـةِ، فَإِنَّهُ يُبْنَى عَلَى الضَّـمَّةِ، تَقُولُ: يَا مُـحَمَّـدُ، وَإِذَا كَانَ يُرْفَعُ بِالأَلِفِ تَقُولُ: يَا مُـحمدَانِ، وَإِذَا كَـانَ يُرفَعُ بِالوَاوِ تَقُولُ: يَا مُحَـمَّدُونَ، وَفِى كُلِّ ذَلِكَ هُوَ مَبْنِىٌّ عَلَى عَلامَةِ رَفْعِهِ فِى مَحَلِّ نَصْبٍ.

وَإِنْ كَانَ المُنَادَى نَكرَةً غَيرَ مَقْصُـودَةٍ، أَىْ أَنَّكَ تُنَادِى أَىَّ إِنْسَانٍ يَسْمَعُ نِدَاءَكَ وَلا تَقْصِدُ رَجُلاً بِعَيْنِهِ، أَوْ كَـانَ مُضَافًا، أَوْ كَانَ شَبِـيهًا بِالمُضَافِ، فَإِنَّهُ يُنصَبُ بِعَلامَـةِ النَّصبِ المعْرُوفَةِ لِلأَسْمَاءِ، تَقُولُ: يَا جَاهِلا تَعلَّمْ، يَا رَاغِبَ النَّجَاحِ اعمَلْ مِنْ أَجْلِهِ، يَا مُحِبا لِلْخَيْرِ تَصَدَّقْ.

وَالمِثَالُ الأَخِـيرُ هُوَ لِلشَّـبِيـهِ بِالمُضَافِ، وَهُوَ مَـا اتَّصَلَ بِهِ شَىْءٌ مِنْ تَمَامِ مَـعْنَاهُ وَلَيْسَ مُضَافًا، وَلَكِنْ يُمكِنُ تَحْوِيلُهُ إِلَى مُضَافٍ فَتَقُولُ: يَا مُحِبَّ الخَيْرِ تَصَدَّقْ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا ذَكَرْنَا يُمكِنُكَ إِعْرَابُ المُنَادَى إِعْرَابًا جَيِّدًا وَصَحِيحًا.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١ - الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بني إسرائيل
٤- بقرة بني إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا في سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى في السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوي الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بني إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون في المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون في ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.
٥٧- يا بني اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام في غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًّى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التي نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذي أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر في الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر في الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر في الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادي المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام في بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوي الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.